ilâhiyât: akademik araştırmalar yıllığı
Sayı / No: 4, Aralık / December 2021
Araştırma Makalesi / Article: 75-105

نصوص الصلوات على النبي: مكانتها وأهميتها في الأدبين العربي والإسلامي

مولاي الحسن الحفيضي [a]

المخلص: يعد الإمام هبة الله بن جعفر أحد أئمة القراءات الذين نقلوا المتواترة تعتبر الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم نثرا مميزا يترجم العلاقة الصادقة التي تربط بين الداعي أو الذاكر أو المصلي على رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين الذات المحمدية العظيمة، ولم يؤلف الكثير في هذا المجال إلا ما نجد من جمع للصلوات وفضائلها؛ حيث تجمع أوصافه صلى الله عليه وسلم وكمالاته وأخلاقه، وهي صلوات تحمل في طياتها الحب والثناء والتعظيم والتبجيل بوجه حسن جميل وأسلوب بديع. ونريد في هذه المقالة أن نجيب عن الأسئلة التي يمكن أن تتبادر إلى ذهن القارئ فيما يخص أهمية نصوص الصلاة في الأدب العربي وفي الأدب الإسلامي، وهل تعتبر منه أم أنها خارجة عنه؟ وما هي أنواعها؟ ومن كتب فيها؟ وماهي المؤلفات المنشورة في هذا الصدد؟ ومن بين الأهداف التي جعلناها نصب أعيننا الكشف عن فصاحة صيغ الصلاة وبلاغتها مما يجعل مكانها الحقيقي بالإضافة إلى كتب الحديث وكتب الأدعية والأوراد والأحزاب والمناجاة هو كتب الأدب لكي تتجلى العلاقة الفريدة بين الصيغة والأسلوب الأدبي الراقي الذي أخرجت فيه، كما أن هناك علاقة تربط مضمون الصلاة بقالبها اللفظي، فضلا عن أننا نسعى إلى رصد الأساليب والصياغات والتراكيب اللغوية في صيغ الصلوات، كما نرمي إلى بيان الأنماط اللغوية للصيغ الصلواتية..

الكلمات المفتاحية: نبي، صلات، نص، أدب، صيغ.

[a] Iğdır Üniversitesi, İlahiyat Fakültesi, Temel İslam Bilimleri Bölümü
hassanhafidi6@gmail.com

The Texts of Prayers on the Prophet: Their Place and Importance in Arabic and Islamic Literature

MOULAY HASSAN HAFIDI

Abstract: The prayer on the Messenger of God, may God's prayers and peace be upon him, is considered distinguished prose that translates the sincere relationship that links the one who prays, remembers, or prays for the Messenger of God, may God bless him and grant him peace, and the great Muhammadan Essence. Where his descriptions, peace and blessings of God be upon him, and his perfections and morals are collected, and they are prayers that carry love, praise, veneration and reverence with a beautiful face and an elegant style. In this article, we want to answer the questions that may come to the reader's mind regarding the importance of prayer texts in Arabic and Islamic literature, and are they considered to be from it or are they outside it? And what are its types? And who wrote it? What are the published literature in this regard? Among the goals that we set in mind is to reveal the eloquence and eloquence of prayer formulas, which makes their true place, in addition to books of hadith, books of supplications, wirds, parties and monologues, books of literature so that the unique relationship between the formula and the elegant literary style in which it was produced, and there is a relationship linking the content of prayer with its template. Verbal, as well as we seek to monitor the methods, formulations and linguistic structures in the prayer formulas, and we also aim to show the linguistic patterns of the prayer formulas.

Keywords: Messenger, prayer, text, literature, formula.

المقدمة

والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم عبادة عظيمة وذكر فخم وعبادة جذلى، وهي ترقي المصلي في مراقي الصعود وفي درجة القرب من الله تعالى؛ حيث ذكر أنه يفعلها وأمر بها إذ قال عز وجل: "إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما" وأمر بها رسول الله صلى الله عليه وسلم في أحاديث كثيرة كما مدح فاعلها وذم من ذُكر عنده النبي صلى الله عليه وسلم فلم يأبه بذلك ولم يصل عليه، ومن الأحاديث التي وردت في ذلك: "جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم والسرور يرى في وجهه، فقلنا يا رسول الله والله إنا لنرى السرور في وجهك، فقال صلى الله عليه وسلم: أتاني ملك فقال: يا محمد أما يرضيك أن ربك عز وجل يقول: إنه لا يصلي عليك أحد إلا صليت عليه عشرا، ولا يسلم عليك أحد إلا سلمت عليه عشرا".[1] ومن ذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "من صلى علي صلاة صلت عليه الملائكة ما دام يصلي علي، فليقل من ذلك عبد أو ليكثر".[2]

وتكمن أهمية هذا البحث في تعلقه بالذات الكريمة النبي صلى الله عليه وسلم في أعظم صورة وهي الصلاة عليه، فالذي أكسب الموضوع أهمية أنه يستقصي صيغ الصلاة عليه ويتتبعها بالتحليل من حيث الأسلوب والعبارة.

1. فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم

والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم من أهم الأذكار التي حث الإسلام عليها وعظّم ثوابها، عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: "كل دعاء محجوب حتى يصلى على محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آل محمد".[3] ومن الأدلة على فضلها حديث أبيّ بن كعب: "قلت يا رسول الله إني أكثر الصلاة عليك، فكم أجعل لك من صلاتي؟ فقال: ما شئت، قال: قلت: الربع، قال: ما شئت، فإن زدت فهو خير لك، قلت: النصف، قال: ما شئت، فإن زدت فهو خير لك، قال: قلت: فالثلثين، قال: ما شئت، فإن زدت فهو خير لك، قلت: أجعل لك صلاتي كلها، قال: إذا تكفى همك ويغفر لك ذنبك".[4]

إن للصلاة على النبي الكثير من الفضائل العظيمة في الدنيا والآخرة، وهي فيما يأتي:

---

[1] رواه الإمام أحمد والنسائي عن أبي طلحة الأنصاري.

[2] ما رواه الإمام أحمد وابن ماجة عن عامر بن ربيعة.

[3] أخرجه الهيثمي برواية الحارث وعاصم بن ضمرة، مجمع الزوائد، ج: 10، ص: 163. وقال: رجاله ثقات.

[4] رواه الترمذي، في صحيح الترمذي، عن أبي بن كعب، رقم: 2457، خلاصة حكم المحدث، حسن صحيح .

طاعة الله تعالى، وامتثال أوامره، لقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ وَمَلاَئِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾[5] فينال المسلم أجر وثواب طاعة الله سبحانه، ويقتدي به في الصلاة على النبي.

كما أن في الصلاة على النبي تعظيماً له صلى الله عليه وسلم، وتكميلا للإيمان، وزيادة في الحسنات، وتكفيراً للسيئات، وعن ابن مسعود رضي الله عنه: قال النبي صلى الله عليه وسلم: "إن أولى الناس بي يوم القيامة أكثرهم علي صلاة".[6]

والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم تدلّ على الجود، فقد بيّن النبي -صلى الله عليه وسلم- في بعض الأحاديث أن الذي لا يصلي على النبي عند ذكر اسمه عنده فهو بخيل، لقول النبي صلى الله عليه وسلم: "رغِمَ أنْفُ رجل ذكِرْت عنده فلم يُصِلّ عليّ"[7] ومن هنا يتضح أنه ينبغي على المسلم المُبادرة إلى الصلاة على النبي عند ذكره. والصلاة على النبي سبب في صلاة الله على من يُصلّي عليه، ورفع الدرجات في الجنة يوم القيامة، لقول النبي عليه الصلاة والسلام: "من صلَّى علي صلاة واحدة صلى اللَّه عليه عشر صلوات، وحُطَّت عنهُ عشرُ خطيئاتٍ، ورُفِعَت له عشرُ درجاتٍ"،[8] فالسعيد من لازم الصلاة على النبي، فهي مصدر لزيادة الحسنات التي تُثقل الميزان، وتكفير الذنوب، ورفع الدرجات في الجنة.

ولو لم يرد في فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم سوى الآية الكريمة: "إن الله وملائكته يصلون على النبي.." لكان فيها مقنع لمن وفقه الله تعالى، ولكان كافيا وافيا في بيان فضلها وشرفها. ولو لم يكن للصلاة عليه صلى الله عليه وسلم فائدة سوى رؤيته عليه الصلاة والسلام مناما لكفت ووفت، وكانت فائدة كبرى ونعمة عظمى لا يقدر قدرها ولا يحصر فضلها. قال النبهاني عن كتابه صلوات الثناء على سيد الأنبياء: ".. إن هذا الكتاب الفائق، جامع المحاسن والفضائل والحقائق هو من أنفس الكتب التي ألفت في الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم وأفضلها وأنفعها وأكملها، وأجمعها لأوصاف كمالاته التي لا تحصى وأشملها، وألذها في مسامع محبيه صلى الله عليه وسلم وأسهلها..." مشيرا كذلك إلى أن الأصل في المسألة هو آيات القرآن وأحاديث النبي صلى الله عليه وسلم وما أثر عن الصحابة والتابعين وكذا ما أثر عن أهل الزهد والتصوف؛ حيث أثنوا عليه ووصفوه بأجمل الأوصاف ومحاسن الصفات التي لا يقدر عليها أحد من الناس سواهم، حيث قال:

---

[5] سورة الأحزاب، الآية:56.

[6] أخرجه ابن حبان، صحيح ابن حبان، ص: 911.

[7] رواه المنذري في الترغيب والترهيب عن أبي هريرة، ج: 2، ص: 408، إسناده صحيح أو حسن أو ما قاربهما.

[8] رواه الألباني في صحيح النسائي عن أنس بن مالك، ص: 1296، إسناده صحيح.

".. على أن جُله بل كله ما بين آيات قرآنية وأحاديث نبوية، وعبارات سادات كرام من الصحابة والصوفية، وليس لمؤلفه في ذلك فضل، سوى حسن الترتيب وصحة النقل".[9]

2. الثمرات والفوائد في الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم

وفي الصلاة على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم عشر ثمرات وعشر فوائد: الأُولى: صلاة المَلِك الجبار، والثانية :شفاعة النبي المختار، والثالثة الاقتداء بالملائكة الأبرار، والرابعة :مخالفة المنافقين والكفار، والخامسة :محو الخطايا والأوزار، والسادسة: العون على قضاء الحوائج والأوطار، والسابعة: تنوير الظواهر والأسرار، والثامنة :النجاة من عذاب دار البوار، والتاسعة :دخول دار الراحة والقرار، والعاشرة :سلام المَلِك الغفار.[10]

والفائدة من صلاة المؤمنين على النبي صلى الله عليه وسلم هي إظهار تعظيمه، شفقة عليهم ليثيبهم على ذلك، ولذلك رتّب الله تعالى الأجور العظيمة على مَنْ صلّى على النبي صلى الله عليه وسلم؛ كقوله صلى الله عليه وسلم: "مَنْ صَلَّى عَلَيَّ وَاحِدَةً؛ صَلَّى اللهُ عليه عَشْرًا،[11] وقوله صلى الله عليه وسلم: "مَنْ صَلَّى عَلَيَّ مَرَّةً وَاحِدَةً؛ كَتَبَ اللهُ عز وجل لَهُ بِهَا عَشْرَ حَسَنَاتٍ".[12] وقوله: "من صلى علي حين يصبح عشرا وحين يمسي عشرا أدركته شفاعتي يوم القيامة".[13] فالله تعالى أمر المؤمنين بالصلاة والسلام على رسوله الكريم؛ اقتداءً بالله تعالى وملائكته الكرام، وجزاءً له صلى الله عليه وسلم على بعض حقوقه.

1.2. صيغ الصلوات على النبي في النصوص الإنشائية

في هذا المبحث سأتحدث عن الصلوات المنشوءة، فلما كانت نصوص الصلاة النثرية هي الأكثر حضورا في التراث الأدبي الصوفي مقارنة بالصلوات الشعرية –غلب النثر على الشعر في المصادر التي استفدت منها – ومن خلال تصفحي لمؤلفات الذين كتبوا في هذا

---

[9] يوسف بن إسماعيل النبهاني، صلوات الثناء على سيد الأنبياء، دار الكتب العلمية لبنان، ط: 1، س: 2002، ص: 5.

[10] انظر: بستان الواعظين ورياض السامعين، ص: 297.

[11] رواه مسلم، ج: 1، ص: 306، ح: 408.

[12] رواه أحمد في المسند، ج: 2، ص: 262، ح: 7551، والنسائي في الكبرى، ج: 6، ص: 21، ح: 9889. وابن حبان في صحيحه، ج: 3، ص: 195، ح: 913. وصححه الألباني في (السلسلة الصحيحة)، ج: 7، ص: 1080، (3359).

[13] أخرجه الهيثمي عن أبي الدرداء في مجمع الزوائد، ج: 10، ص: 123، وقال: روي بإسنادين وإسناد أحدهما جيد ورجاله وثقوا.

الصدد يظهر أن الغالب نثر وليس شعرا، فقد كتب محمد الكتاني ومحمد المعطي بن الصالح الشرقي والتجاني وماء العينين والمختار الكنتي وغيرهم صلواتهم بنص نثري ولم يكتب أحد من هؤلاء نصا شعريا في الصلوات على الرسول صلى الله عليه وسلم فيما نعلم. وهذا لا يعني أنه لا توجد صلوات شعرية منظومة وإنما الغالب هو النثر. وسيظهر معنا أسفله أن هناك من المصلين من يمزج بين النظم والنثر في نص الصلاة دون ترتيب محدد ومنهم من رتب ونظم، إما بجعل أحدهما شاهدا على الآخر ومدعما له، وإما يختم الصلوات النثرية بقصائد في مدح الرسول ومحبته والتوسل إليه وبه إلى الله تعالى.

ولابد أن نشير إلى أن صيغ الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيرة لا يحصرها العد، والسبب في ذلك أن الإحساس الإيماني الذي انبعث في نفوس المؤمنين والحب في الله ورسوله، كل ذلك دفع مجموعة من العلماء والزهاد والعباد يشدها الشغف والحب الجارف إلى التفنن في إظهار ذلك الحب بكل ما أتيح لهم من صور التمجيد والتوقير والاحترام، حسبما وسع الجهد وبلغت الطاقة، على مراتب الآفاق والأذواق، فألّفوا في الصلاة عليه صيغا شتى، فقد اهتم العلماء والزهاد والعباد بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، لكي يسفروا عن مواجيدهم وشرف أحاسيسهم، حيث لم يأت مخصِّص بالتزام صيغة معينة في الصلاة خارج الصلاة المفروضة والنوافل، فيجوز لمن أراد أن يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم أن يصلي عليه بما يريد من صيغ وبما يختار من ألفاظ وجمل وعبارات.

فمن دلائل محبة النبي صلى الله عليه وسلم الإكثار من الصلاة عليه امتثالا لأمر الله تعالى وتشوقا إليه اغتناما لما فيها من الفوائد العظيمة والأجور المضاعفة الجسيمة، ولأجل نيل هذه الخيرات العظيمة والتشرف بهذا الشرف الجليل تسابق جِلّة من العلماء الأفاضل في تصنيف المؤلفات في الصلاة على خير البرية نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، فمنهم من ألف مباشرة في الصيغ ابتغاء التبرك بها ومنهم من زاد على ذلك ذكر صفات النبي عليه أفضل الصلاة والسلام، ومنهم من استرسل في بيان حكمها وكيفيتها وبيان فضلها وما أعده الله من الثواب والأجر لمن يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم.

فإن الطريق إلى الله تعالى مسالكه متعددة منها القيام بالعبادات وعمارة الأوقات بالأذكار والأدعية والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم. ومن أجلّ ما أُلف في هذا الضرب من الكتابة الصوفية يمكن جمعه في علم الأدعية والأذكار وفيه الأحزاب والأوراد، ومن هذه المؤلفات التي تناولت الصلاة على رسول الله نذكر:

- القربة إلى رب العالمين بالصلاة على محمد سيد المرسلين صلى الله عليه وعلى

آله وسلم من تأليف الإمام خلف بن عبد الملك الأندلسي المعروف بابن بشكوال، وهو مطبوع.

- الصلاة لأبي نعيم صاحب كتاب الحلية.
- الصلاة لجمال الدين بن جُملة.
- الصلاة للشيخ تقي الدين السبكي.
- جلاء الأفهام في الصلاة على خير الأنام للإمام ابن القيم الجوزية، وهو مطبوع.
- الأعلام بفضل الصلاة على خير الأنام للإمام أبي عبد الله محمد النميري.

والكتب كثيرة لا نستطيع إحصاءها، وهذه التي ذكرناها إنما على سبيل المثال لا الحصر.

ورود صيغ الصلاة على رسول الله في الكتب المستقلة – الأوراد والأحزاب

والمقصود بها الأحزاب الخاصة بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، ومعلوم أن أكثر الصلوات الواردة في كتب الأحزاب قيلت بعد وفاة النبي عليه الصلاة والسلام، حيث إن صيغ الصلوات التي وردت عن النبي عليه أفضل الصلاة والسلام واردة في كتب الأدعية، وأن الصيغ المأثورة عن الصحابة الكرام قد جمعها المؤلفون في كتب الأدعية والأذكار. ولم يكن هذا الفن فنا في بداية أمره، ولم يكن ظاهرا للعيان ولا مصنفا ضمن مؤلفات خاصة به كباقي الفنون النثرية المعروفة، وإنما كانت صيغ الصلوات متفرقة إلى أن جاء من يجمعها من مصادرها ويؤلفها ويلم شملها، ومع ذلك لم تصدر كتب تدعي أن هذا النوع من الأدب فن بمفرده، ولكن تم تناوله على أساس أنه مجموعة أوراد وأحزاب وصلوات يراد بها التبرك والتقرب إلى الله. لذلك لم يُعن أحد من القدماء بتصنيفه وتأريخه لأن الذين أجادوا وبرعوا فيه لم يكونوا من الأدباء وإنما اهتم به العباد والزهاد والمتصوفة.

والصلوات تعج بها الكتب والمؤلفات وتزخر بها كتب الأدعية، وإذا أخذنا في الحديث عن الأوراد والأدعية والاستغاثات والأحزاب لزمنا أن نوجز لأنه يتعذر علينا توفية هذا النوع ما يستحق من الدرس في مبحث واحد فقط، وقبل أن نخوض في تلك الصلوات ينبغي أن نفرق بين الحزب والورد، حيث إن الورد يقرأ في أوقات منظمة فيقال أوراد النهار وأوراد الليل، أما الحزب فليس لقراءته وقت مخصوص، وعندما نذكر مجموعة الأحزاب وننسبها لشيخ مثل ابن عربي أو النقشبندي أو غيره من الأولياء الكبار، فإننا لا نعني أن ذلك الكتاب الحافل بتلك الأوراد والأحزاب والأذكار والأدعية يعود له فقط، ويحتوي فقط على الأوراد المنسوبة إليه دون غيره، أو أن المجلد المنسوب للنقشبندي مثلا يحتوي فقط على

أوراد الطريقة النقشبندية، بل إن كل مجلد يحتوي على كنوز من الأذكار والأحزاب والأوراد والصلوات والتوسلات لمجموعة من الأولياء، ويحتوي على صلوات متفرقة من هنا ومن هناك، مما يجعل هذا الكتاب وغيره من كتب الأحزاب بحق موسوعة الموسوعات في الذكر. وقد وردت الصلوات في مجموعة من الكتب نختار بعضها لأننا لن نستطيع أن نحيط بها كاملة. وهذه الصلوات يمكن أن نجمعها تحت عنوان: "صلوات الأولياء المتفرقات" لأن هناك صلوات مجموعة مثل دلائل الخيرات لأبرز هؤلاء العلماء الذين برعوا في الأذكار والأدعية والأوراد وكذا أحزاب الشيخ عبد القادر الجيلاني والشيخ النووي وأحمد البدوي وغيرها.

ولقد تفنن الصوفية في الذكر والدعاء واتجهوا إليه اتجاها قويا لأنهم تلذذوا به وعرفوا قيمته وقدره، فتعطروا برائحته الزكية وتفيأوا بظلاله الوافرة، وتنسموا فيه ريح الجنة، ثم اتخذوه شعارا لهم ودثارا، واتخذوا لذلك الأوراد والأحزاب فتفننوا في إخراجهما وألفوا فيهما يعينهم في ذلك حب النبي صلى الله عليه وسلم وابتغاء شفاعته، فاشتهرت لهم في ذلك أحزاب وأوراد ذات صياغة جميلة وأسلوب جميل فصيح، وما أحزاب وأوراد العارفين إلا مجموعة أذكار وأدعية وصلوات؛ حيث إن القرآن الكريم حث في كثير من آياته على الدعاء وحض على الصلاة على النبي، وكذلك حث رسول الله صلى الله عليه وسلم في كثير من أحاديثه الشريفة على الإكثار من الدعاء والصلاة عليه، والأحزاب والأوراد ماهي إلا أذكار ودعوات وصلوات، وقد اشتهر منها الكثير.

- **مجموعة أحزاب وأوراد الشيخ الأكبر ابن عربي**: وقد جمعها الشيخ أحمد ضياء الدين الكمشخانوي، وقام بتحقيقها الشيخ عاصم الكيالي، تحتوي الصلوات الست للشيخ الأكبر محي الدين بن عربي رضي الله عنه، وهي: الصلاة الفيضية، الصلاة الأكبرية،[14] صلاة السر الأعظم، صلاة الفتح الأزلي، صلاة فواتح الحقيقة، الصلاة المُطَلْسَمَة، وتُعرف أيضًا بالذاتيّة، بالإضافة إلى أوراده.

وتقع طبعتها الأولى في ثلاث مائة وخمسة وستين صفحة، وقد قام بطبعها دار الإحسان للنشر والتوزيع. استهل المحقق حديثه بذكر حث النبي صلى الله عليه وسلم على الإتيان بهذه الأوراد فقال: "إنه ليُغانُ على قلبي، وإني لأستغفر الله في اليوم مائة مرة"،[15] وقال الشيخ ابن عطاء الله السكندري رحمه الله في حكمه مبينا الحاجة إلى هذه الأوراد: "لا يستحقر الورد إلا جهول.." فالإنسان مكلف بوظائف العبودية، قياما بحق عظمة الربوبية،

[14] للصلاة الأكبرية شرح يسمى الهبات الأنورية على الصلوات الأكبرية.

[15] الحديث رواه الأغر المزني أبو مالك، وأخرجه مسلم في صحيحه، رقم الحديث: 2702. وهو صحيح.

ومن هذه الوظائف الأوراد التي تقطع بموته، فليغتنم الإنسان عمره قبل فوات الأوان. وقد جاء في الأثر: "لا تأتي على العبد ساعة لا يذكر الله فيها إلا كانت عليه حسرة يوم القيامة". هذا وتتنوع الأوراد بتنوع همم الخلق واستعداداتهم إلا ثلاثة أوراد كلية بحسب الوسع والطاقة، الأول: ورد المجتهدين في الرياضات الروحية من العباد والزهاد، والثاني: ورد السائرين إلى الله تعالى، والثالث: ورد الواصلين.

والكتاب غني جدا بمحتوياته، ففيه حزب الدور الأعلى للشيخ الأكبر وحزب المحو والفناء، وكذا الأوراد الأسبوعية وأوراد ليالي أسبوعية يقال له الكبريت الأحمر.. ثم انتقل إلى الصلوات وفيه: صلاة القطب لمحيي الدين بن عربي، وصلوات السلطان محمود بن أمير سبكتكين الغزنوي، وصلاة منسوبة لبعض الأكابر لا يعلم منشؤها، والصلاة المنسوبة الممزوجة الأسماء الحسنى، وزبدة الصلوات ولها منافع كثيرة وفوائد عظيمة لأنها سلطان الصلوات، ثم صلوات سيد أحمد الدرديري، وصلوات للأستاذ عبد الغني النابلسي وفصول أخرى.

- أوراد الطريقة الشاذلية لأبي الحسن الشاذلي:

تم في هذا الكتاب اختيار عدة أوراد بعضها للشيخ أبي الحسن الشاذلي، وبعضها لأئمة سلكوا طريقته، لذلك سميت هذه الأوراد بأوراد الشاذلية نسبة لجامعها وقارئيها، وقد تم جمع هذه الأوراد المتفرقة في هذا الكتاب لتسهيل قراءتها لمن أراد المواظبة عليها، وقد تناول الكتاب مباحث كثيرة من آداب الذكر وأهمية الورد،[16] ولكن ما يهمنا منه هو تلك الأحزاب التي تحتوي الصلوات على رسول الله، والصيغ المتعددة التي وردت فيه، ومن ضمن هذه الأوراد حزب البر، وهو في رأي بعض العارفين أفضل الأحزاب من حيث اللفظ والمعنى، فهو في لفظه تحفة فنية قليلة النظائر، وهو في معناه قوة روحية وعقلية نادرة المثال. والشاذلي يبدأ حزب البر بالاستعاذة والبسملة وآيات من القرآن كأكثر من أنشأوا الأحزاب ثم يأخذ في التضرع إلى الله تعالى، وليست فيه صيغ صلوات. ولحزب البر المعروف بالحزب الكبير للإمام أبي الحسن الشاذلي شرح من تأليف عبد الرحمن بن محمد الفاسي، وقد قام بتحقيقه محمد عطية خميس، وقدم له الدكتور عبد الحليم محمود، وقامت بنشره المكتبة الأزهرية للتراث، وطبع سنة 2002، والناظر في الصفحة 25 وما قبلها وما بعدها يرى صيغا جميلة ورائعة.

- دلائل الخيرات للجزولي: وعنوانه الكامل هو: دلائل الخيرات وشوارق الأنوار في

[16] أبو الحسن الشاذلي، أوراد الطريقة الشاذلية تح: محمد بيروتي، مكتبة دار البيروتي، س: 2015، ص: 3.

ذكر الصلاة على النبي المختار صلى الله عليه وسلم، حيث إن الصلاة عليه تغفر الذنوب وتكفر السيئات وتفرج الكروب وتقضي الحوائج، وتشفي المرضى، وتزيل الهموم والأحزان، وتكثر الأرزاق وتنيل شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم، كما أن الصلاة عليه ترفع الدرجات وتكثر الحسنات وتمحو السيئات وتكفي هم الدنيا والآخرة.

وهو كتاب من تأليف محمد بن سليمان الجزولي المتوفى سنة 870هـ، جمع فيه صيغا في الصلاة على الرسول صلى الله عليه وسلم، وهو واحد من أفضل المؤلفات في صنفه، ويعدّ من أشهر الكتب في هذا المجال، وله شعبية كبيرة بين المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها.

وقد صار الكتاب محط اهتمام العلماء فأولوه عناية خاصة واهتماما بالغا، حتى جعله الصوفية جزءا من أورادهم اليومية التي يقرأونها في الصباح والمساء، فكان له صيت واسع في كل أرجاء العالم الإسلامي، فساهم هذا في نشره وتوزيعه في كل البلاد.

يقول الإمام الجزولي أنه جمع هذا العمل العظيم، ليكون بمثابة المنفس الذي يتنفس به الإنسان إلى سيد الخلق نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، حيث يهدف من هذا العمل المبسط إلى المداومة على ذكر الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، حيث جمع صيغا متعددة وردت في ذكر الصلاة على النبي، وقد حرص على ذكرها في هذا العمل محذوفة الأسانيد، حتى يتسنى للقراء حفظها، حيث إن الصلاة على سيد الخلق تعد بمثابة المفتاح لمن يرد القرب من الله تعالى.

وقد قام الشيخ الجزولي رحمه الله بتقسيم هذا الكتاب على سبعة أقسام وفقا لعدد أيام الأسبوع، حيث خصص لكل يوم من أيام الأسبوع وردا خاصا به يُقرأ فيه، لذكر الصلاة على النبي كل يوم بدءا من يوم الإثنين وحتى يوم الجمعة. ولكل يوم تُطالع صيغة من صيغ الصلاة على النبي، وقد استهل بالدعاء بأسماء الله الحسنى مقدمة لكتابه، وبذكر أسماء رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي مائتان واسم واحد (201)، وختمها بهذا الدعاء: " اللهم يارب بجاه نبيك المصطفى ورسولك المرتضى طهر قلوبنا عن كل وصف يباعدنا عن مشاهدتك ومحبتك، وأمتنا على السنة والجماعة والشوق إلى لقائك يا ذا الجلال والإكرام". ثم أورد دعاء النية، ثم بدأ بالحزب الأول الذي هو في حد ذاته فصل في كيفية الصلاة على النبي من أجل الترغيب فيها والتحبيب لها، وكذا ليبن فضائلها الجمة، ثم انتقل إلى الحزب الثاني، فالثالث وهكذا إلى السابع، ثم ختم بدعاء يقرأ بعد ختم الدلائل، وضمّن الكتاب صلاة سيدي أحمد البدوي وسيدي بن مشيش.

- **متن الوظيفة الشاذلية المسماة بالصلاة المشيشية لعبد السلام بن مشيش**: المعروفة

أيضا بحزب الرغبة والرهبة وصلاة ابن مشيش، وقد سماها أبو الحسن الشاذلي صلاة الفتح والقرب، وفيها حزب البحر وحزب البر وحزب اللطف، يقول عاصم إبراهيم الكيالي: "رأينا أنه من الواجب علينا الاعتناء بصيغ الصلاة والسلام على النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، ونشرها لتكون في متناول المريدين السالكين إلى الله تعالى. ومن أمهات صيغ الصلاة والسلام على النبي صلى الله عليه وسلم الصلاة المشيشية، وهي صيغة العارف الرباني والقطب الفرداني والوارث المحمدي المرشد الكامل الشيخ عبد السلام بن مشيش قدس الله سره ونفعنا بأسراره، وهو علم من أعلام القرن السابع الهجري، توفي شهيدا عام 622 هـ. حازت هذه الصيغة شهرة واسعة بين الصوفية، وقلما نجد طريقة لا تقرأ هذه الصلاة كصلاة من أورادها، وقد جعلت الطريقة الشاذلية هذه الصيغة وردا رئيسا من أورادها، وسماها القطب الفرد شيخ الطريقة ومؤسسها سيدنا أبو الحسن الشاذلي خليفة الشيخ عبد السلام بن مشيش رضي الله عنه وقدس سره بـ "صلاة الفتح والقرب"، وقال بعض العلماء: هي أفضل الصلاة على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بعد الصلاة الإبراهيمية لما فيها من قوله: صلاة تليق بك منك إليه كما هو أهله. وبعد أن مزجها العارف بالله تعالى المرشد الكامل مولانا الشريف العربي الدرقاوي الحسيني بفتوحاته الربانية بحيث يتعذر التمييز بين الأصل والمزج، صار مجموعها يسمى الوظيفة الشاذلية. وهذه ثلاثة شروح لهذه الصيغة لثلاثة علماء كبار مشهود لهم بعلوم الشريعة والطريقة والحقيقة، الفقه والعقيدة والتصوف على النحو التالي: "كشف الأسرار لتنوير الأفكار" للعلامة الشيخ مصطفى بن محيي الدين نجا البيروتي، و"الإلهامات الإلهية على الوظيفة الشاذلية" للعلامة الشيخ محمود أبو الشامات الدمشقي، و"النفحات القدسية العلية بشرح الوظيفة الشاذلية" للعلامة الشيخ مصطفى أبو ريشة القادري البقاعي، وأسمينا هذا المجموع في كتاب واحد: "الإلهامات السنية في شروح الوظيفة الشاذلية".[17]

– **مجموع أوراد وصلوات وأحزاب لأحمد بن الرفاعي**: هذا الكتاب القيم جمع دعاء البسملة وورد الجلالة للجيلاني، ودعاء الجلالة والمسبعات والصلوات والمنظومة للدردير، وورد السّحَر والميمية والمنبهجة للبكري، والحزب الكبير والصغير للدسوقي والبيومي والنووي، والوقاية المسمى بالدور الأعلى فضلا عن بعض الأدعية لبعض المناسبات مثل دعاء النصف من شعبان وعاشوراء وأول السنة وآخرِها والاستغاثات. يقول: ".. أمرني أستاذي – محمد حسين ياسين – بالاشتغال بأحزاب الطريقة الرفاعية وأورادها

[17] عاصم إبراهيم الكيالي، الإلهامات السنية في شروح الوظيفة الشاذلية، دار الكتب العلمية - بيروت، ص: 3 – 4.

وصلواتها رغبة في ضم مجموع يكون من يانع ثمراتها عذب المناهل مملوء الحياض، جامعا لما يجب الاشتغال به على من أراد الوصول لأنوار تلك الطريقة والتضلع من أسرارها ليكون من أهل الحقيقة، فبعد الاستخارة والاستئذان جمعت المهم من الأحزاب والأوراد التي ألفها القطب الرفاعي رضي الله عنه وأرضاه مع ورد سحر وحزب القبول واستغاثات لشيخ المشايخ شيخنا الحكار الرفاعي". وقد قامت المكتبة الأزهرية للتراث؛ الجزيرة للنشر والتوزيع بطبع ونشر الكتاب الطبعة الأولى، ويقع في 144 صفحة.

– **صفوة الصلوات على سيد السادات لحسن محمد شداد بن عمر**: وهو كتاب يحتوي مجموعة من صيغ الصلوات جمعها ورتَّبها حسن محمد شدَّاد بن عمر باعمر الحضرمي رحمه الله تعالى، حيث يقول في مقدمة كتابه: "لما منّ الله عليّ ووفقني لقراءة صيغ عظيمة جليلة فخيمة في الصلاة والسلام على مولانا محمد خير الأنام صلى الله عليه وسلم، وهي من الصيغ الجليلة المسماة عند الأحباب "الصلوات الكوامل" ولِما رأيت ما لها من الحسنات والمثوبات والدرجات الواحدة منها تعدل بآلاف الآلاف من غيرها، انشرح خاطري لجمعها وانفتح صدري لعموم نفعها إن شاء الله، وشرعت في الجمع وجمعت ما يسر الله لي".[18] ثم بدأ المؤلف يشرح الكيفية التي اتبعها في الكتاب والخطة التي سار عليها حيث بدأ أولا بالصيغ المروية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الأحاديث الصحيحة، ثم صيغة عظيمة لسيدتنا فاطمة الزهراء ثم صيغ لبعض الصحابة ثم المشايخ الكرام". ولما تم ذلك الكتاب على تلك الصفات سميته صفوة الصلوات على سيد السادات سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وقد وزعت تلك الصلوات على عدد أيام الأسبوع بداية من يوم الخميس متوجها إلى ليلة الجمعة، وجعلت في بداية كل حزب يومي سورة الفاتحة لتكون فاتحة خير ثم بعد ذلك آية الكرسي، ثم بالآيتين من آخر سورة التوبة "لقد جاءكم رسول من أنفسكم" ثم بالآية: "إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما"، كما جعل المؤلف في نهاية قراءة الحزب اليومي صيغة جميلة مطلعها: "أزكى صلاة وأتم سلام عليك يا رسول الله..".[19]

– **أحزاب وأوراد لأحمد التجاني**: وكما هو ديدن علماء التصوف والرجال العباد فقد دأبوا على كتابة صيغ متنوعة للصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم، حبا منهم له وألفوها اجتهادا منهم أو إلهاما من الله أو تلقيا من رسول الله في المنام، وهو كتاب

[18] حسن محمد شداد بن عمر باعمر، صفوة الصلوات على سيد السادات؛ سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، ص: 2 – 3.

[19] صفوة الصلوات على سيد السادات، حسن محمد شداد بن عمر. ص: 4 – 5.

من تحقيق وتعليق السيد محمد الحافظ التجاني، ويقع في مائة وخمس صفحات، بين طيات هذا الكتاب القيم توجد مجموعة من الأوراد والأذكار كتبها الشيخ إمام العارفين أحمد التجاني، هدف منها وابتغى بها تعليم الطلاب كيفية التوسل والتضرع إلى الله تعالى، وقد تكفلت المكتبة الثقافية، بطبع الكتاب.[20]

وقد تكلم المحقق في بداية الكتاب عن أصل الأوراد والطرق واستدل بالآيات الكريمة المعروفة: "فاذكروني أذكركم" وغيرها مما سبق ذكره، وعلى هذه الآية وغيرها مدار الذكر والطرق، وفي الدعاء والذكر تطهير النفس، ثم الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم؛ حيث قال: "من صلى عليّ مرة صلى الله عليه بها عشرا"، وأورد أحاديث أخرى في فضل الصلاة على النبي والحض عليها لما فيها من ثواب عظيم، ثم انتقل إلى الأوراد اللازمة في طريقة الشيخ التجاني، وهي أن يقرأ الورد صباحا أو مساء ثم يستغفر الله مائة مرة ثم يصلي على رسول الله صلى الله عليه وسلم مائة مرة كذلك، ومما حض عليه الشيخ قراءة صلاة الفاتح لما فيها من جوامع الثناء على رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم يذكر الكلمة المشرفة لا إله إلا الله مائة مرة أيضا. ثم انتقل إلى الوظيفة وهي عبارة عن استغفار وصلاة وتهليل، ومنها إلى صلاة الفاتح ثم جوهرة الكمال وأوراد، ثم انتقل إلى الصلاة الغيبية في الحقيقة الأحمدية، ثم الحرز اليماني والحزب السيفي وحزب الغنى وحزب البحر، وبعدها أورد أدعية، ثم الصلاة الجامعة وصلاة التسبيح... وهكذا.

- **صلوات محمد بن عبد الكبير الكتاني:** أو الصلوات الكتانية، ويقع الكتاب في ثمان وثلاثين صفحة، وهي كما يقول مؤلفها صلاة فتوح الجوارح مسماة بأدل الخيرات في الصلاة على سيد الكائنات صلى الله عليه وسلم، وهي صلوات كتبت مرتبة على الأعضاء والقوى الشريفة النبوية، ويتضمن الكتاب مقدمة موجزة للمؤلف يقول فيها بأن الاشتغال بهذه الصلوات كان عام حجه المبرور سنة ألف وثلاثمائة وإحدى وعشرين من الهجرة النبوية، وقد استهلها بقوله: "اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا ومولانا محمد الروح المنفوخ في الصور الكمالية.." ويلي هذه الصلوات ثلاث صلوات، الآولى: صلاة المتردي، والثانية: صلاة الأنموذجية، والثالثة: صلاة القاسم، وهذه الصلوات ليست ضمن هذا الكتاب، وبهذا يختم مؤلفه.

- **روضات الجنات في مولد خاتم الرسالات لمحمد بن محمد بن عبد الكبير الكتاني**: تحقيق نجليه عبد الرحمن ومحمد الكتاني، وعدد صفحات الكتاب ثمانين صفحة،

[20] أحزاب وأوراد القطب الرباني والعارف الصمداني سيدنا ومولانا الشيخ أحمد التجاني الشريف الحسني رضي الله عنه، تح: السيد محمد الحافظ التجاني، ط: 6، س: 1984، بمصر.

وقد طبعته دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، نشرت سنة 2004، ويظهر من عنوانه أنه اهتم بالمولد النبوي الشريف ويورد فيه مجموعة من صيغ الصلوات التي التي يذكرها الناس في تلك المناسبة، كما أنه اعتنى بإيراد الأحاديث النبوية الصحيحة أو التي لها أصل معتبر في السنة في هذا الباب، كما ذكر عدة جوانب من الشمائل المحمدية والأخلاق النبوية والتعاليم الدينية التي ينبغي على المسلم أن يتحلى بها، كما تعرض أيضا للعديد من القضايا الإسلامية المختلفة.[21]

– **الحزب الكبير والصغير لسيدي إبراهيم الدسوقي**: وللإمام الدسوقي أحزاب وأوراد قد اهتم بها مريدوه ورجال طريقته وحفظوها في صدورهم قبل أن تدون في الكراريس، فحزب الدسوقي مجموعة أوراد جمعت قصد التقرب بها إلى الله تعالى، وهو مجموع أذكار وأدعية للثناء على الله تعالى وتقديسه وتمجيده، والاستغفار والتوبة والاستعاذة بالله سبحانه من كل فعل أو قول يحجب المرء عن الله تعالى وعن هدي نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، وكذا التعوذ من الشر وطلب الخير وحصول العلم وطلب التوفيق إلى كل خير يرضاه الله عز وجل، في الدنيا والآخرة.

وأوراد وأحزاب الدسوقي رضي الله عنه مطبوعة، وهي مجموع الأذكار والأدعية التي وردت عنه، وقد عني العارفون بشرحها، وأشهر الشروح المطبوعة هو: "مسرة العينين بشرح حزب أبي العينين" للعارف الصوفي الجليل الشيخ حسن شمة الفوّي. كما أن له رضي الله عنه أورادا شهيرة تعرف بالحصن والحزب الكبير والحزب الصغير. ووِرده رضي الله عنه مُشعر بأنه صادر عن روح كبيرة قد استنارت بمحبة الله تعالى وفنيت في حب رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ورود صيغ الصلاة على رسول الله في كتب الأدعية والمجموعات

أما كتب الأدعية والمجموعات فنقصد بها الكتب التي جمع فيها أصحابها الصلوات على النبي صلى الله عليه وسلم نقلا عن كتب الحديث والأوراد والأحزاب التي أنشأها أصحابها من الأولياء والعباد والزهاد والمتصوفة. وفيما يلي بعض هذه الكتب:

الإشارات الإلهية والأنفاس الروحانية لأبي حيان التوحيدي: رسالة العلامة أبي حيان التوحيدي رحمة الله تعالى عليه في كتابه هي رسالة الصيغ التوحيدية في الصلاة على خير البرية صلى الله عليه وسلم بامتياز، والصلوات جزء من الدعاء، والناظر في كتابات

[21] أبو الهدى محمد الباقر بن محمد بن عبد الكبير الكتاني، روضات الجنات في مولد خاتم الرسالات الكتاني، تح: عبد الرحمن ومحمد الكتاني، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، س: 2004.

التوحيدي يرى الدعاء من الفنون الأدبية فهو يكتب الأدعية كتابة الأديب الفنان، ويقصد إلى جعلها من النماذج البارعة في عالم البيان. وهي صلوات ممزوجة بأدعية مختلفة، كما أنها رسالة صلوات تتخللها أدعية ومناجاة كثيرة بحرقة ووجد، فيها عبارات روحانية ممزوجة بحسن اللغة وروق الأدب. كما نعتها ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة بالدعوات الفصيحة المستحسنة.

وللكتاب نسختان: نسخة قام بتحقيقها عبد الرحمن بدوي، وصدرت في القاهرة سنة 1950 وذلك في 488 صفحة. ونسخة حققتها الباحثة وداد القاضي، وصدرت في طبعتها الثانية من دار الثقافة ببيروت سنة 1982 وذلك في 480 صفحة.

والكتاب مجموعة من الرسائل فيها اقتراب من عالم التصوّف تتجه لمخاطَب غير معيّن، تمت صياغتها في شكل مواعظ وعلامات طريق. وهو غني بما فيه من منهج في المناجاة فريد في نوعه، حيث وُجه الخطاب إلى الله تعالى بلغة راقية تتخللها مصطلحات فلسفية صوفية، فيها جمال وصنعة فنية وطلاوة موسيقية وأسلوب أدبي، يدل على علو هائل في سقف الفكرة، ورهف حسي عميق، وعمق في الأفكار.

وقد يحتار قارئ الإشارات في أول وهلة من الاطلاع عليه هل يصنفه ضمن الأدب الروحي الإسلامي أم يدخله ضمن فن المناجاة الإلهية؟ لكن بعد ذلك تتضح الرؤية وينقشع الغبش؛ حيث يظهر أنه إلى الدعاء والمناجاة أقرب، لكن لا يستطيع القارئ في الوقت نفسه أن يعزله عن الأدب السامي والكتابة الراقية، فقد تم تأليفه بأسلوب باهر وبلغة رصينة. ونطمئن عندما نستمع للدكتور شوقي ضيف عندما يصنف الكتاب حيث يقول: "كتاب الإشارات الإلهية لأبى حيان التوحيدي جميعه دعاء واستغفار وتضرع إلى الله وتوبة وطلب للهداية واتباع سبيل الرشاد. ونجد من حين إلى آخر أدعية ومناجيات بديعة".[22] ونزيد اطمئنانا عندما نقرأ في مقدمة التحقيق ما قاله د. أحمد بدوي عن الكتاب حيث قال: " والكتاب عبارة عن ابتهالات تسري فيها روح الألم والإحساس بالوحدة والغربة".

و"الإشارات الإلهية" مجموعة من الرسائل فيها اقتراب من عالم التصوّف تتجه لمخاطَب غير معيّن، تمت صياغتها في شكل مواعظ وعلامات طريق. وفي النسخة الأخرى من "الإشارات" التي حقّقتها الباحثة وداد القاضي، والتي صدرت في بيروت مطلع الثمانينيات من القرن الماضي، تقول المحققة في مقدّمتها: "تعتمد الرسائل جميعها بناءً متشابها في التركيب الأصلي، يقوم على ركنين أساسيين هما: المناجاة أو "الدعاء" ومخاطبة

[22] شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، ج: 5، ص: 437.

شخص ما. والرسالة غالبا ما تبدأ بالدعاء وتنتهي بالدعاء، وتتراوح في ما بين ذلك بين الخطاب والدعاء وأغراض أخرى، أبرزها شكوى الحال والزمان، وفي حوالي ثلثي الأحوال تنتهي بعبارة: يا ذا الجلال والإكرام."

لقد ارتفع أبو حيان في إشاراته بأسلوبه إلى درجة لم يبلغها أي من المتصوفة قبل؛ بل إلى درجة لم يكن قد بلغها في أي من مؤلفاته السابقة؛ حيث تطورت مقدرته على التعبير عما يخالجه، وفي داخل هذه المناجاة أورد أبو حيان الصلوات على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهي صلب موضوعنا.

وكمثال نأخذ هذه الصيغة التي أوردها أبو حيان، حيث يقول فيها: "إِنَّ اللَّهَ وَمَلاَئِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النبي يأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيما" صدق الله العظيم، اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه وعد علينا بصفحك عن زلاتنا. اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه وانعشنا عند تتابع صرعاتنا. اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه وامزج خوفنا منك برجائنا فيك، اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه وبشّرنا عند توجهنا نحوك بالوصول إليك...

ورود صيغ الصلوات على رسول الله في كتب الأدب

إن الصلاة على رسول الله من أفضل الطاعات وأعظم العبادات وأجل القربات وأزكى الأذكار التي يتقرب بها العبد إلى الله تعالى، وفضائلها لا تعد ولا تحصى، وقد صنف فيها المصنفات الكثيرة والمؤلفات العديدة، وتنافس فيها العلماء والأولياء والعباد والزهاد، كل يدلو بدلوه إلى يوم الناس هذا، لذا فمن الصعب جدا إحصاء كل تلك المؤلفات. وقد تنافس كتاب الأدب في وضع صيغ للصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في مقدمات كتبهم كما نثروها في بطونها أيضا، رغبة في إرضاء الله عز وجل ، وامتثالا لقوله تعالى عز في علاه بأبلغ أسلوب في التأكيد وأكمل وجه في الترغيب: "يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما" وطلبا للثواب والمغفرة وتقربا منه عليه الصلاة والسلام وامتثالا لأقواله المستفاضة الكثيرة التي ترغّب في الإكثار من الصلاة عليه وتُرّهب من تركها عند ذكره، والتي سبق الإشارة إلى بعضها أعلاه. من أجل هذا فقد انبرى المؤلفون والعباد والزهاد والعلماء ينظمون ألوان الصيغ وأنواع الصلوات في مؤلفات يصعب حصرها..

لذلك عندما ننظر في مقدمات الكتب المختلفة، سواء كانت كتب أدب أو لغة أو نحو وصرف أو غيرها فإننا غالبا ما نجد هؤلاء المؤلفين في كتبهم يستهلون بصيغ الصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومنهم من ينفرد في ذلك ويجعل براعة الاستهلال مقدمة طويلة في الصلاة عليه، والعبارات تختلف من مقدمة إلى أخرى حسب

موضوع الكتاب، فضلا عن أن بعضهم يورد صيغ الصلوات في كتابه متناثرة في صفحات مؤلفه. إذًا فكتب الأدب تعج بالصلوات، وفيما نقله المتقدمون من الصلوات في مؤلفاتهم ما يؤيد ما نريد إثباته، وهو شغف المسلمين بمأثور الصلوات، وقد نُقلت عند المتأخرين بأسلوب غنائي يتروح بين السجع والطباق والجناس. وفي هذه الشواهد دلائل على أن الصلوات قديمة جدا في التقاليد الدينية.

وسيكون ترتيبنا للكتب التي سنوردها في هذا المبحث حسب تاريخ وفاة المؤلف فحسب، ولن نجعل لها ترتيبا آخر سوى الترتيب التاريخي تصاعديا.

نفح الطيب للمقري: يعد نفح الطيب من أوسع وأمتع وأحفل كتب المقري بالفوائد وأشملها للتاريخ والأدب والشعر، والذي لو لم يكن للمقري إلا إياه لكفاه ذلك فضلا.[23] واسم الكتاب الكامل الذي أقره المقري بعد التعديل الذي أدخله عليه هو: "نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب"، حيث صرح المقري في مقدمته الطويلة للنفح بأنه أسماه أولا: "عرف الطيب في التعريف بالوزير ابن الخطيب"، ثم وسمه بالعنوان الأخير بعدها.

ويلفت نظر القارئ لهذا الكتاب لأول وهلة في تلك الطائفة الهائلة من القصائد النبوية التي نظمها الكاتب بنفسه إما توسلا بالنبي حين زار الروضة الطاهرة، وإما مدحا للنبي تتخلله صلوات عليه، على نحو ما يفعل شعراء المدائح النبوية في العصور المختلفة. ولقد أطال شهاب الدين المقري رواية كثير من المدائح النبوية له ولغيره من الشعراء في مقدمة كتابه هذا الذي نحن بصدد الحديث عنه، والمدائح هي كالصلوات منثورة أو منظومة في صورة دعاء أو ثناء، فيها روح أدبية ولغوية، وهي مقدمة طويلة أسماها "خطبة الكتاب"، وقد أدرك بنفسه ذلك، أي أنه قد أحس بأن ما رواه من شعر المدح النبوي في خطبة كتابه قد زاد في الطول على ما قد تحتمله مقدمة كتاب، فاستدرك ما قد يثار من اعتراض على هذه الإطالة قائلا: "وربما يقول من يقف على سرد هذه الأمداح النبوية: إلى متى وهذا الميدان تكل فيه فرسان البديهة والروية، فأنشده في الجواب قول بعض من أمّ نهج الصواب:

لأديمن مديح المصطفى فعل من في الله قوى طمعه

فعسى أنعم في الدنيا به وعسى يحشرني الله معه

وقد نسب شهاب الدين المقري شعر المدائح النبوية الذي أورده في كتابه النفح إلى

[23] الحبيب الجنحاني، المقري صاحب نفح الطيب؛ دراسة تحليلية، ، دار الكتب الشرقية - تونس س: 1955، ص: 83.

أصحابه كعادته، وأحيانا يغيب عنه اسم الشاعر فلا يذكره.

ويميل محقق الكتاب محمود عبد الغني إلى القول بأن المدائح النبوية غير المنسوبة لقائل هي للمقري نفسه، حيث إنه في قصيدة أو مدحة نبوية خماسية يشير إلى أنه لولا تعلق حقوقه ببلاد المغرب لأقام في رحاب النبي عليه السلام حتى يتاح له أن يموت هناك ويدفن في أرض البقيع الطاهرة.[24]

عندما يقوم القارئ بجولة في نفح الطيب بأجزائه الأربعة الضخمة يجد أن شهاب الدين المقري يهتم كثيرا بالصلوات اهتماما واضحا يلفت ويجذب الأنظار، فهو لا ينفك يذكر أمداحا أو صلوات في مواطن كثيرة، فعندما نقلب صفحات الكتاب كثيرا ما نقابل صيغ الصلوات[25] وشعر المدائح النبوية وهي تتراوح بين القوة والضعف، لكن المؤلف يكثر من نقلها وأحيانا يؤلفها بنفسه، وهناك مدحة ميمية نبوية للمقري نشير إليها وهي جيدة الصياغة وحسنة السبك، وما يهمنا من هذه المدائح هو ختامها بالصلاة والسلام موضوع بحثنا، حيث يختم هذه بقوله:

وأجل الكلام ما كان مد ح شفيع الورى عليه السلام

ثم يقول بعدها بعدة أبيات:

فاستووا خلفه صفوفا وقالوا صل يا أحمد فأنت الهمام

فعليه من ربه صلوات زاكيات مع صحبه وسلام[26]

أزهار الرياض في أخبار عياض للمقري: يعد هذا الكتاب مصدرا حافلا للمدائح، حيث يعج بنوع كبير من المدائح، حيث ذكر ذلك محمود عبد الغني حسن في كتابه عن المقري.[27] ولم يكتف شهاب الدين المقري بما رواه في النفح من مدائح نبوية في كتابه السابق نفح الطيب، بل زين كتابه أزهار الرياض أيضا بذلك النوع أيضا، حيث عطّره بمثل ذلك من المدائح النبوية، بل نجده يروي مدائح أخرى كالقصيدة النونية التي نظمها الوزير لسان الدين بن الخطيب في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم، وهي مشهورة معروفة، وهذا مطلعها:

---

[24] محمود عبد الغني حسن، المقري صاحب نفح الطيب، ص: 131.

[25] لمزيد من الاطلاع على صيغ الصلوات ينظر: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، أحمد بن محمد المقري التلمساني، تح: إحسان عباس، دار صادر – بيروت، س: 1968. تح: إحسان عباس، ج: 7، ص: 432 - 479.

[26] نفح الطيب، المقري، تح: إحسان عباس، ج: 1، ص: 56.

[27] محمود عبد الغني حسن، ص: 141، وانظر: المقري، أزهار الرياض: ج: 2، ص: 383.

سل ما لسلمى بنار الهجر تكويني وحبها في الحشا من قبل تكويني

وتتخللها صلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، حيث يقول:

صلى عليك إله العرش ما غردت حمائم فوق أغصان البساتين

صلى عليك إله العرش وما وفدت نويقة لحمي الأطلال تبريني

صلى عليك إله العرش ما هطلت مدامع السحب أو عين المحبين

صلى عليك إله العرش ما ضحكت مباسم الزهر في ثغر الأفانين

وألفُ ألفِ صلاة لا نفاد لها مضروبة في ثمان ألف تسعين[28]

وكأن قلب الرجل وعينه موكل بمدائح الرسول عليه الصلاة والسلام، فلا ينفك يروي المدحة بعد المدحة، ولا يجد حرجا في إطالة الرواية في هذا المجال، بل يجد تلذذا وسعادة قلبية، مهما كانت حال الشعر المروي من ضعف النظم والتكلف.[29]

كما يحتوي الكتاب أيضا قصائد ابن زمرك الأديب الشاعر الأندلسي المشهور التي كان ينظمها في الموالد النبوية التي كان يقيمها سلاطين دولة بني الأحمر ملوك غرناطة، والحق أنها مدائح نبوية قوية رصينة العبارة جيدة السبك، تليق بهذا الأديب الأندلسي الكبير،[30] وقد أطال المقري عنه الكلام وسرد له مجموعة كبيرة من القصائد ثم جعل له آخر موشحة زهرية في مدح المصطفى صلى الله عليه وسلم وجعلها مسك الختام للقصائد التي عرضها له في كتابه، وفي بعض هذه القصيدة يحن ويتشوق إلى زيارة مدينة الرسول، وفي بعضها الآخر يصلي عليه.

البيان والتبيين للجاحظ: نرى أن الجاحظ يتحدث عن الصلاة على رسول الله ولكنه لا يورد الصيغة بل يدخل في الخطبة مباشرة حيث يقول في الجزء الثاني عندما أورد خطبة أبي بكر في الملوك: "وقال إبراهيم الأنصاري: الخلفاء والأئمة وأمراء المؤمنين ملوك، وليس كل ملك يكون خليفة وإماما، ولذلك فصل بينهم أبو بكر رحمه الله في خطبته، فإنه لما فرغ من الحمد والصلاة على النبي قال: "ألا إن أشقى الناس في الدنيا والآخرة الملوك!".[31]

وكذلك الأمر حينما أورد خطبة لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه: "قال أبو عبيدة

---

[28] أزهار الرياض، ج: 1، ص: 316 - 318.

[29] محمود عبد الغني حسن، ص: 135.

[30] المقري صاحب نفح الطيب، محمد عبد الغني حسن، ص: 139.

[31] البيان والتبيين، ج: 2، ص: 30.

معمر بن المثنى: "أول خطبة خطبها علي بن أبي طالب رحمه الله أنه قال بعد أن حمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه: أما بعد فلا يرعينّ مرع إلا على نفسه"، فإنه لم يورد صيغة الصلاة التي ذكرها علي رضي الله عنه.

ونجد الأمر يتكرر عندما أورد خطبة علي في الجهاد عندما قال: "قالوا: أغار سفيان بن عوف الأزدي ثم الغامدي على الأنبار، زمان علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وعليها حسان- أو ابن حسان- البكري، فقتله وأزال تلك الخيل عن مسالحها، فخرج علي بن أبي طالب رضي الله عنه حتى جلس على باب السّدة، فحمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه ثم قال: أما بعد، فإن الجهاد باب من أبواب الجنة".[32]

وكذا الأمر في خطبة عتبة بن غزوان السلمي بعد فتح الابلة، حمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال: "أما بعد فإن الدنيا قد تولّت حذّاء مدبرة، وقد آذنت أهلها بصرم"،[33] فإنه لم يورد صيغة الصلاة أيضا.

وللصلاة أهمية كبيرة جدا حتى إنهم سموا الخطبة التي ليست فيها صلاة بالبتراء، حيث يقول الجاحظ: "خطبة زياد بالبصرة وهي التي تدعى البتراء،

قال أبو الحسن المدائني وغيره، ذكر ذلك عن مسلمة بن محارب، وعن أبي بكر الهذلي قالا: "قدم زياد البصرة واليا لمعاوية بن أبي سفيان، وضم إليه خراسان وسجستان، والفسق بالبصرة كثير فاش ظاهر. قالا: "فخطب خطبة بتراء، لم يحمد الله فيها، ولم يصل على النبي".[34]

وكذلك فعل عندما أورد خطبة عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه، حيث قال: قال "أبو الحسن: حدثنا المغيرة بن مطرّف، عن شعيب بن صفوان، عن أبيه قال: خطب عمر بن عبد العزيز بخناصرة خطبة لم يخطب بعدها غيرها حتى مات رحمه الله، فحمد الله وأثنى عليه وصلّى على نبيه ثم قال: أيها الناس، إنكم لم تخلقوا عبثا ولم تتركوا سدى..".[35]

والمقام يضيق عن الاستقصاء، ولو مضينا نستقري الصيغ التي ذكرت في مختلف العصور لرأينا كثيرًا من الأشكال والألوان، وكتب الصوفية تفيض بأمثال هذه الصيغ أكثر مما هو في كتب الأدب.

---

[32] البيان والتبيين، ج: 2، ص: 36.

[33] البيان والتبيين، ج: 2، ص: 38

[34] البيان والتبيين، ج: 2، ص: 40.

[35] البيان والتبيين، ج: 2، ص: 82.

النبوغ المغربي لعبد الله كنون: ذكر العلامة عبد الله كنون في مقدمة كتابه أنه سيقوم بتأخير جميع الآثار والمنتخبات الأدبية إلى الجزئين الثاني والثالث حيث يضم بعضها إلى بعض، ويؤلف منها مجموعة نفيسة حاوية لأهم ما صدر عن أدباء العصور المختلفة من بديع النظم والنثر التي يرى أنها تعطي نظرة صادقه عن إنتاج الأدباء في ميدان الكتابة الفنية والعلمية وما يتصل بها من ضروب القول وأنواع الخطاب. وسيأتي بتلك الآثار والمنتخبات البديعة في قسم المنثور وهو الجزء الثاني من كتابه بعد أن قام بتقسميها على قسمين، قسم المنثور المضمن في الجزء الثاني، وقسم المنظوم المضمن في الجزء الذي بعده، وبين كل قسم أبوابا بحسب أغراضه وفنونه، لكنه لم يتعرض لشرح أو بيان إلا للغريب والغامض الذي لا يسهل فهمه على كل الناس، وذلك رغبة في الإيجاز وعدم التشويش على المطالعين.[36]

وقد بدأ المؤلف بقسم المنثور، لأن النثر أصل الكلام، وافتتحه بالتحميد والصلاة للتيمن، وبعد ذلك ذكر الخطب لأنها أول المحفوظ من نثر العرب، ثم المناظرات لمزيد شبهها بالخطب في الأسلوب والغرض، ثم تحول للرسائل وهي أهم أغراض النثر، ثم المقامات وهي قصص قصيرة تكتب بأسلوب أدبي مسجوع، وتشتمل على إفادات وإنشادات، ثم المحاضرات وهي من موضوع المقامات لاشتمالها مثلها على القصة والفائدة، ثم المقالات وهو باب جديد في الأدب العربي على اعتبار المعنى الحديث للأدب الذي يرمي إلى عد جميع الأشكال الكلامية التي يستخدمها الإنسان للتعبير عن آرائه بلسانه أو قلمه، سواء في الدرس الفني واللغوي أو البحث العلمي والفلسفي موضوعا للأدب يجب أن يدرس ويبحث بروح أدبية محضة.[37]

وفي معرض حديثه عن التحميد والصلاة ذكر تحميد القاضي عياض رحمه الله الذي جمع فيه بين توحيد الجلالة وتمجيد صاحب الرسالة؛ حيث قال: "الحمد لله المتفرد باسمه الأسمى المختص بالملك الأعز الأحمى، الذي ليس دونه منتهى ولا وراءه مرمى، الظاهر لا تخيلا ولا وهما، الباطن تقدسا لا عدما.. وبعث فيهم رسولا من أنفسهم عربا وعجما، وأزكاهم محتدا ومنمي، وأرجحهم عقلا وحلما وأوفرهم علما وفهما، وأقواهم يقينا وعزما.. صلى الله عليه صلاة تنمو وتنمى، وعلى آله وسلم تسليما.[38]

ثم أورد صلاة لعبد السلام بن مشيش وهي المعروفة بالصلاة المشيشية، حيث قال:

---

[36] النبوغ المغربي، عبد الله كنون، ج: 2، ص: 325

[37] النبوغ المغربي، عبد الله كنون، ج: 2، ص: 326

[38] النبوغ المغربي، عبد الله كنون، ج: 2، ص: 327

"اللهم صل على من منه انشقت الأسرار وانفلقت الأنوار، وفيه ارتقت الحقائق، وتنزلت علوم آدم فأعجز الخلائق، وله تضاءلت الفهوم، فلم يدركه منا سابق ولا لاحق.."[39]

أما في قسم المنظوم فقد استهله بقوله: "ونأتي الآن في قسم المنظوم الذي هو الجزء الثالث من الكتاب بالآثار والمنتخبات الشعرية كما وعدنا، مقسمة إلى الأبواب المعروفة من الحماسة والغزل والوصف والمدح وغير ذلك، إلا باب الهجاء فإنا عوضناه بباب المُلَح، وأدرجنا فيه نماذج من الهجاء التي أكثر ما تراد لشكلها لا لمضمونها.

ثم يختم الباب حيث يقول: "وقد ختمنا بباب خصصناه للموشحات والأزجال جمعا للنظائر وعناية بهذا النوع من الأدب المنظوم، إذ كان يمثل حركة التجديد في الأدب العربي عامة على النطاقين الخاصي والعامي، فلم نر بدا من ترجيع صدى هذه الحركة في هذا الركن النائي من بلاد العروبة، وفاء بغاية البحث الذي قدمناه في الموضوع في عصر الموحدين. وبالله التوفيق".[40]

العقد الفريد لأبي عمر شهاب الدين أحمد بن عبد ربه القرطبي: لقد كان كتاب العقد أكثر كتب ابن عبد ربه شهرة وذيوع صيت، وقد تحدّث نفسه عن تسميته بهذا الاسم فقال: «وسمّيته كتاب العقد الفريد لما فيه من مختلف جواهر الكلام، مع دقة المسلك وحسن النظام» وقد اعتمد كما لاحظنا في تأليفه واختياره لموضوعاته وأخباره على مصادر كثيرة، منها ما هو ديني كالقرآن والإنجيل والتوراة، والحديث النبويّ الشّريف، ومنها ما هو أدبيّ وتاريخيّ، كعيون الأخبار، والمعارف لابن قتيبة، والحيوان، والبخلاء، والبيان والتبيين، للجاحظ، والكامل للمبرّد وكليلة ودمنة والأدب الكبير والصغير لابن المقفّع، والأمالي لأبي عليّ القالي، ودواوين كثيرة لشعراء جاهليين وإسلاميين، وغير ذلك من الكتب التي تناولتها يداه.[41]

وقد اختط المؤلف خطة في كتابه هذا حيث قسمه إلى فنون عديدة، وضمّنه خمسة وعشرين كتابا انفرد كلّ كتاب منها باسم جوهرة من جواهر العقد؛ بحيث يقع على كلّ من جانبي واسطة العقد، اثنتا عشرة جوهرة، كلّ منها سمّيت باسم التي تقابلها من الجانب الآخر، وبذلك تكون أولى جواهر العقد وآخره على اسم واحد، ففي العقد لؤلؤتان وزبرجدتان وياقوتتان وجمانتان وهلمّ جرّا» وقد أشار ابن عبد ربّه في مقدمة كتابه إلى ذلك فقال: «وجزّأته على خمسة وعشرين كتابا كلّ كتاب منها جزآن، فتلك خمسون جزءا في

[39] النبوغ المغربي، عبد الله كنون، ج: 2، ص: 330

[40] النبوغ المغربي، عبد الله كنون، ج: 3، ص: 638.

[41] ابن عبد ربه، العقد الفريد، مقدمة المحقق، ص: 3.

خمسة وعشرين كتابا».

وقد تناول عدة موضوعات مختلفة تنوّعت وتوزّعت بين السياسة والحرب، والأمثال والمواعظ، والتّعازي والمراثي، وكلام الأعراب وخطبهم وأنسابهم وعلومهم وأدابهم وأيّامهم وأخبار مشهوريهم من الخلفاء والقادة.

وما يهمنا في هذا الكتاب أنه أورد صيغا من صيغ الصلوات على رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومن ذلك حينما أورد خطبة أبي بكر يوم السقيفة حيث قال فيها: "فاتقوا الله عباد الله وراقبوه، واعتبروا بمن مضى قبلكم، واعلموا أنه لا بدّ من لقاء ربكم والجزاء بأعمالكم، صغيرها وكبيرها، إلا ما غفر الله، إنه غفور رحيم، فأنفسكم أنفسكم والمستعان الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله، إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النبي، يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيما، اللهم صل على محمد عبدك ورسولك، أفضل ما صليت على أحد من خلقك؛ وزكّنا بالصلاة عليه، وألحقنا به، واحشرنا في زمرته، وأوردنا حوضه اللهم أعنّا على طاعتك، وانصرنا على عدوّك".[42]

وكثيرا ما يروي قصة أو حادثة فيها كلام أو خطبة دون أن يورد تلك الخطبة، بل يكتفي بالقول بأن المتكلم صلى على النبي صلاة كما هو أهل لها، حيث يقول عند ذكر شبيب وعبد الله: "فحمد الله وأثنى عليه، وصلى على النبي صلّى الله عليه وسلم أتم صلاة وأطيبها، ثم قال: لم يخف عليّ مكانك منذ اليوم ولا فعلك بي؛ فمن تكون يرحمك الله؟ قلت: شبيب بن شيبة التميمي، قال: الأهتمي؟ قلت: نعم. قال: فرحّب وقرّب، ووصف قومي بأبين بيان وأفصح لسان، فقلت له: أنا أجلك- أصلحك الله- عن المسألة.."[43]

2.2. مكانة الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في الأدب الصوفي

الأدب كل الأدب هو ما أثر عن الصوفية، وإن تجاهله أهل العلم، لما يتمتع به من حسن السبك، ومتانة الديباجة، ولكنه موجود مجهول، مبثوث في الكتب لكن الاهتمام به قليل، ويشتهر المتصوفة الأدباء أو الأدباء الصوفية بأسلوبهم الممزوج بعواطفهم التي تجذب القارئ إليه، لذلك فللصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم مكانة مهمة في أدبهم، فهم لا ينفكون يؤلفون فيها، سواء كان هذا التأليف مستقلا أم كان بالتبعية، وللنزعة الصوفية أهمية كبرى في أدب الصلوات، حيث يختارون في كتاباتهم صيغا ممتازة، تختلف في الطول والقصر حسب الحاجة إلى ذلك، وقد برعوا في هذا المجال براعة تامة.

---

[42] العقد الفريد، ج: 4، ص: 149 – 152.

[43] العقد الفريد، ج: 5، ص: 363 - 364.

ولم يكن الأدب عند الصوفية صناعة أدبية فحسب، وإنما كان وسيلة من وسائل التعبير عن أزمات النفوس وخواطر القلوب. ومنه يمكن أن نخلص بأن الأدب لم يكن دائمًا مادة للتسلية واللهو، أو العبث والمجون، وإنما كان في بعض نواحيه مادة فكر وعقل ووجدان. فالأدب في الأصل هو صورة العقل والقلب والوجدان، وإن قصره ناس على الأوصاف والتشبيهات والمجازات والخيالات والصور.[44] فالموجوع يعبر بالأدب عن وجعه، والفرحان يعبر بأسلوبه الخاص عن فرحه وسروره، ويبث أثر ذلك على صفحات كتابه، وهكذا.

فالأديب المتصوف أو الصوفي المتأدب حينما ينشغل بكتابة صيغ الصلوات يرصد في ذلك مطالب ويبتغي من ذلك إبراز أهدافه منها، وهي لا تكاد تنحصر؛ حيث يحاول جمعها في صيغ متعددة وينشرها في نصوصه من خلال هذا الأدب الصلواتي المتميز، ومن أهم تلك المطالب وأكثرها انتشارا في نصوص هذا الأدب الصلواتي، التوبة من الذنوب والمخالفات، وطلب العفو والمغفرة والرحمة والحفظ، وتفريج الكروب، وإذهاب الشرور، ورفع الأضرار عن النفس والأمة، والشفاء من الأمراض، وبسط الرزق ومباركته، والاستعاذة من غلبة الدين وطلب رفع الفاقة... وبالنظر إلى نصوص الصلوات نستطيع أن نستفيد منها الطلبات الأخرى التي يدعو بها المصلي، وبالإضافة إلى هذه الأمور المذكورة توجد مسائل أخرى مثل دعاء توسيع الرزق وطلب الفضل والكرم والغنى والنجاة من النار والأهوال...[45]

إن أدب الصلوات على رسول الله صلى الله عليه وسلم هو أدب صادق مع النفس، وصيغ الصلوات تأتي عفوية صادقة، تصدر من نفس صافية وتخطر من قلب مكلوم؛ حيث ينطلق المصلي في التعبير عما بدواخله مصليا على رسول الله صلى الله عليه وسلم متضرعا مستشفعا لاهجا بذكر الله، وينطلق لسانه بالصلاة على رسول الله لطلب الشفاعة...

ومن مظاهر اهتمام المسلمين بالصلوات أنهم نقلوا ما وصل إليهم من صلوات النبي صلى الله عليه وسلم، مما يدل على أن الصلوات قديمة جدا في التقاليد الإسلامية وفي الثقافة الدينية، وعلى منوال هذه الصلوات وعلى شاكلتها بدأت تظهر صيغ الصلوات، لكن بشكل قليل حيث كان يُكتفى بصيغ النبي صلى الله عليه وسلم وما أُثر عن بعض الصحابة الكرام.

وقد اهتم أهل التصوف بالصلوات اهتماما بالغا، وجعلوها من ضمن مشروعاتهم، وقد رأينا في المبحث السابق كيف أنهم أفردوا لها مؤلفات متعددة، ولو كُتب للعديد من

---

[44] الأدب الصوفي في المغرب، ص: 374.

[45] للمزيد من المعلومات، انظر الأدب الصوفي في المغرب، ص: 89.

المخطوطات أن تطبع في حينها وترى النور لصارت المكتبة الإسلامية الآن تعج بالآلاف منها، حيث تم الاقتصار في بداية الأمر على حفظ تلك الأدعية والصلوات وتوارثها وانتقالها شفهيا دون أن يخطر ببال أهل التصوف تدوينها، لكن بعد ذلك تنبه منهم من تنبه فحاول كتابة تلك الصيغ وتم نشرها على نطاق ضيق، فبدأ تدوينها في كتب الصوفية ممزوجة مع أدعيتهم وأحزابهم وأورادهم.

والملاحظ على هذه الصيغ الكثيرة والمتعددة كتابتها بأساليب متميزة وبنفحة أدبية راقية، فإذا امتزج الأدب بالتصوف فذلك هو الوجد الحقيقي، وحين يكتب حب النبي بلغة رصينة فعند ذلك تتجلى حقيقة الهيام.

فلغة الصلوات وأسلوبها كان بسيطا سهلا سلسا لأن نشأة التصوف في شكله البدائي إنما نشأ نشأة إسلامية خالصة، قبل أن يختلط المسلمون الأوائل بغيرهم من الأمم المجاورة، غير أن أسلوب التصلية لحقه التعقيد وأصبحت لها لغتها الخاصة وأسلوبها المنفرد، وأصبح يعتريها الإشارات والرموز ويكسوها الغموض والإبهام، وتصبح لغة مستغلقة على ذهن العوام، فأصبح لكل متصوف لغته وأسلوبه الخاص به، حيث يضع الصوفي القارئ أمام تجربة لغوية معقدة تطلب منه جهة الإبانة والوضوح وفك الغموض.

وقد غدا المصلون المعاصرون يوظفون الأقنعة الفنية والأدبية والصوفية، وتشغيل الرموز المكانية والطبيعية واللغوية من أجل إخراج صلاة تتجاوز طرائق الاجترار في التعامل مع التراث إلى طريقة الحوار والتناص قصد خلق تعددية صوتية تحيل على المعرفة الخلفية للكاتب ومرجعياته الثقافية وسمو حسه الشعري.

3.2. مكانة الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في الأدب الإسلامي

الأدب الصوفي سابق عن الأدب الإسلامي، من حيث إنه تصنيف أدبي حديث، فمن خلال خلفيته يتضح ذلك، ولهذا جعلت في هذا البحث مبحث الأدب الصوفي أولى من مبحث الأدب الإسلامي. ويعرف الدكتور عبد الرحمن رأفت باشا الأدب الإسلامي بأنه "التعبير الفني الهادف عن واقع الحياة والكون والإنسان عن وجدان الأديب، تعبيرا ينبع مِن التصور الإسلامي للخالق عز وجل ومخلوقاته، ولا يُجافي القيم الإسلامية".

وتطلق الإسلامية فيه ويراد منها الاتفاق مع قيم الإسلام ومبادئه، وعلى قدر يتيح له الالتقاء معه، أو ضرورة أن ينطلق ذلك من قاعدة إسلامية يقينية لدى المنشئ أو الأديب.[46] وقد راعى في التعريف الموضوع له جانب الإبداع الفني؛ فنجد في تعريفه أنه التعبير الفني

[46] أحمد محمد علي حنطور: مصطلح الأدب الإسلامي بين أيدي الدارسين، مجلة الأدب الإسلامي، س: 2، ع: 5، رجب 1415، ص: 16.

الهادف، والأدب الإسلامي يُعنى بجانب الإبداع الفني، ويعتمد على رؤية إسلامية أصيلة.

والأدب الإسلامي في مضمونه قد عُرف منذ نزول الوحي؛ إذ القرآن الكريم نفسه، وكذا السُّنة النبويَّة، يُعتبران من أعظم النماذج المُجسِّدة لمقوّمات الأدب الإسلامي. وهذا حكم يتناول الجانب الفني والمضموني على السواء؛ فهو كلام مألوف، ليس غريبا ولا معقدا، ولا متراكبا، ثم هو نثر صادق، ليس مُتمحّلاً ولا مُزَوَّرًا، وهو دعاء ليس للتَّزَلُّف وقضاء المصالح.

لقد بدأت مظاهر الأدب الإسلامي تظهر وبدأت معالمه الفنية والمضمونية تتحدد شيئا فشيئا حتى اعتدل وقام، وبدأت تتميز خصائصه عن الأدب السائد قبل الإسلام، هذه الخصائص، وتلك المعالم، وإن لم تكن قد عرفت التدوين والتبويب، غير أنها تركزت في الأذهان، وحفرت في القلوب.

وقد ظهرت الدعوة إلى الأدب الإسلامي في العصر الحديث، ووقف منها المثقفون العرب والمسلمون مواقف متعددة متباينة، فمنهم من احتفى بهذا المصطلح الجديد احتفاءً جمّا، والكاتب الذي يخرج عن نطاق الأدب الإسلامي يعني أنه يصدر في معطياته الأدبية تنظيراً ودراسة ونقداً وإبداعاً عن منطلقات غير إسلامية، ولكنه يظل مع ذلك مسلماً على الأقل بالمفهوم الجغرافي، ومنهم من رفضه بدعوى أن الأدب العربي كله منذ البعثة النبوية وإلى اليوم أدب إسلامي، يُنتجهُ في معظمه مسلمون، يعترض بعض الأدباء على مصطلح الأدب الإسلامي ومنهم المفكر الإسلامي عماد الدين خليل بقوله: "إننا بهذه التسمية نلغي الأدب العربي، ويرى أن هذا جناية على الأدب العربي الذي أعطى على مدى قرون طويلة ولا يزال".[47]

وللأدب الإسلامي صفات بارزة، وخصائص واضحة يمتاز بها عما سواه من المذاهب الأدبية، وهذه الخصائص كثيرة نذكر منها:

أنه أدب غائيٌّ هادف: ذلك لأن الأديب المسلم لا يجعل الأدب غاية لذاته، وإنما هو وسيلة إلى غاية، تتلخص هذه الغاية في ترسيخ الإيمان بالله عز وجل في الصدور، وتأصيل القيَم الفاضلة في النفوس.

أنه أدب مُلتزِم: فهو التزام بالإسلام وقيمِه وتصوراته، وتقييدٌ بمبادئه ومثُله وغاياته.

أنه أدب أصيل: وتتجلَّى هذه الأصالة في التزام الأديب الإسلامي بالأصيل مِن خصائص الأمة الإسلامية، والنقيِّ من صفاتها.

[47] عماد الدين خليل، الأدب الإسلامي وإشكالية العمق التراثي، مجلة رابطة الأدب الإسلامي العالمية.

أنه مستقل بذاته: وذلك حين يتخلَّص الأديب الإسلامي من تأثير الأدباء الأفذاذ الذين يجذِبون إليهم من دونهم جذبا شديدا، ويتحكَّمون في رؤيتهم للأشياء، وهذا الاستقلال يتمُّ بالتصميم من جهة، وبتكوين الشخصية الأدبية الإسلامية من جهة أخرى؛ بحيث لا يرى الأديب المسلم إلا بعين الإسلام، ولا يُسمع إلا بأذنه، ولا يُحس إلا بإحساسه.

أنه ثابت وراسخ: فالأدب الإسلامي بسبب كونه يستمِد قيَمه ومضموناته وتصوُّراته من الإسلام الثابت الراسخ، فإنه يحتفظ دائما بشخصيته وجنسيته وروحه وتفكيره وذكريات ماضيه، وإذا تغيَّر فيه شيء على مرِّ العصور فإنما تتغيَّر أثوابه وأشكاله فحسب.

أنه أخلاقي: بكل ما تحمله هذه الكلمة من دلالات؛ ذلك لأن الالتزام الخلُقي عند الأديب الإسلامي كعبقريَّته.

أنه متقَن: وذلك لا يتمُّ إلا بتآزُر الشكل والمضمون، وعلى هذا فإنه لا يشفع للأدب الرديء أن يكون موضوعه إسلاميا، فكثير من مدائح الرسول صلى الله عليه وسلم مُستبعَدة من الأدب الإسلامي؛ وذلك لأن الأدب الذي نرمي إليه ينبغي أن يجمع إلى سموِّ الغاية سموَّ الوسيلة.

أنه واعي: فلابد أن يعي الأديب الإسلامي ذاته المؤمنة، وأن يشعر شعورا عميقا بالمسؤولية التي ألقاها الله على كاهله، وأن يُقدِّر خطورة الكلمة وشرَفها وقيمتها.[48]

تقدم نظرية الأدب الإسلامي رؤية جديدة للأدب منطلقة من العقيدة الإسلامية وفق رؤية الإسلام للكون والإنسان والحياة مع التزامها بالأصول الفنية للأدب والنقد المتعارف عليها، حيث تتخذ من الأشكال الأدبية ما يتناسب معها، كما أن لها الحق في أن تبتدع لنفسها أشكالا أدبية تنسجم مع الرؤية الإسلامية. حيث إن "الأدب الإسلامي يصدر عن حياة إسلامية، وتجربة إسلامية، إنه أدب يتسم بالصدق والوضوح، والالتزام بالإسلام في أوسع صوره، وأبعد مراميه؛ لأنه يصدر عن التصور الإسلامي، المرتبط ارتباطا عضويا بالسلوك والنشاط الإنساني، والعلاقات الإنسانية المختلفة، وكل أعمال الإنسان، كارتباطه بالعقيدة ذاتها، إنه يصور تجربة الإنسان المسلم في الحياة".[49] وفي ضرورة علاقة النص بكاتبه ينبه الكاتب إلى أنه "عندما نتناول صفة الأديب المسلم، نرى أن هويته لا تتحدد إلا من خلال هذه الصفة: "المسلم"، وأنه لا يدخل في إطار الأدب الإسلامي إلا من هذا

[48] محمد نور الإسلام، الأدب الإسلامي؛ التعريف والنشأة والخصائص، شبكة الألوكة – حضارة الكلمة – أدبنا – دراسات ومقالات نقدية وحوارات أدبية، تاريخ التصفح: 27. 11. 2012. الرابط: https://www.alukah.net/literature_language/0/47058/

[49] محمد حسن بريغش: في الأدب الإسلامي المعاصر، ص:

المدخل فقط.. ولكن الأديب المسلم لا يكتسب هذه الصفة إلا إذا كان مؤمنا حقا، ومسلما صادقا، يلتزم شرع الله فكرا وسلوكا واعتقادا".[50]

وليس المقصود بالأدب الإسلامي فقط التغني بأمجاد المسلمين وفتوحاتهم وانتصاراتهم والدعاء والتسبيح ومدح الرسول صلى الله عليه وسلم، بل يتعدى ذلك ليشمل جميع نواحي الحياة المعاصرة، وآفاقه لا حدود لها. فهي تشمل جميع القضايا الإنسانية من مشكلات وعلاقات وسلوكيات وروحانيات وانفعالات، شأنه شأن باقي الآداب الأخرى، إلا أنه يتميز عنها بأنه أدب محترم. وبذلك يكون الأدب الإسلامي "كل أدب تخطه يد أديب مسلم ملتزم ولا يخل بالضوابط الشرعية الإسلامية".[51]

ومن أهم صفات الأدب الإسلامي وأبرز خصائصه: أنه يحمل في نفسه غاية ومقصدا وليس محض فن، وأنه هادف، وأنه ملتزم بهدي الدين الإسلامي الحنيف ومبادئه وقيمه، وأنه أصيل، وأنه مستقل؛ بحيث لا يَرى الأديب المسلم إلا بعين الإسلام، ولا يسمع إلا بأذنه، ولا يُحس إلا بإحساسه، ويتميز بالثبات والرسوخ، والأخلاق، والإتقان، والوعي. ومن خصائصه الانطلاق من التصور الإسلامي الصحيح والمفهوم الإسلامي للأدب باعتباره "نتاجا إنسانيا وصورة من التفاعل بين الإنسان والكون، أو من علاقة الإنسان بأخيه الإنسان، وأحيانا من علاقة الإنسان بربه الخالق المدبر".[52]

وأما حدوده فإن الأدب الإسلامي لا يقف عند الحدود المعروفة من الأنواع الأدبية مثل الشعر والقصة القصيرة والرواية والمسرحية والمقالة والخطبة والخاطرة.. بل يترك الباب مفتوحاً للأنواع الأدبية الجديدة المنبثقة من وجودنا الحضاري والمتعلقة بالطابع العقائدي لأمتنا، أو المستوحاة من الأمم الأخرى على أن تكون مستفرغة من مضمونها الفكري والحضاري الخاص، فالإسلام لا يرفض من الأشكال إلا ما كان مرتبطاً ارتباطاً عضوياً بمضمونه الفكري والعقائدي.

والأدب الإسلامي ينظر إلى النصوص الأدبية التي تحمل وعظا وإرشادا بمنظار فني دقيق، فإذا توافر فيها الإبداع الفني صياغة وخيالا وصدقا في التجربة فهي أدب جميل، وإن كانت وعظا، وإذا لم يتوافر لها ذلك الإبداع فهي غير مقبولة فنيا، فلا قيمة للعمل إذا لم يكن وراءه عاطفة قوية منضبطة متدفقة، ومع ذلك فهو عمل له قواعده وفكره وعقلانيته.

---

[50] محمد حسن بريغش: في الأدب الإسلامي المعاصر، ص:

[51] محمد عباس عرابي: الأدبية خولة العناني (أم حسان الحلو)؛ نظرات موضوعية وفنية في كتابتها الأدبية. مجلة رابطة الأدب الإسلامي العالمية، ع: 21، س: 2012.

[52] محمد حسن بريغش، في الأدب الإسلامي المعاصر ص: 74.

والكلمة الجميلة المعبرة مؤثرة، لذلك نجد أن المجتمعات البشرية تتناقل حِكم الحكماء وأدب الأدباء وأشعار الشعراء، وتشغف به آذانهم وتتمايل أرواحهم لسماعه، من هنا جاءت أهمية الصلاة على رسول الله ضمن الأدب الإسلامي، حيث إن الله لا يحب قول السوء، ويأمر عباده بأن يقولوا التي هي أحسن، وينهى عن لهو الحديث، ويُثيب على القول الطيب والكلمة السديدة، وأنه لا يصعد إليه إلا الكلم الطيب. وإذا فثمة تلازم بين الكلمة الطيبة والإبداع، وحيثما كانت العبارة الجميلة الأنيقة يكون هناك الأدب الإسلامي، والكلمة مادة الفن المقروء، والفن ضرورة إنسانية والنزوع إليه فطري، والاستجابة له طوعية، وأثره واضح في الحديث: "إن من البيان لسحرا". هذه الكلمة لكي يجب أن تكون مؤثرة لابد أن تحمل متعة البيان، وصواب المعنى، وحكمة الناصح الأمين.

وقد حمل الأدب منذ القدم وعلى مر العصور نصوصا تزخر بتجارب حيوية عميقة تختزن خبرات انتهى إليها صاحبها بعد معاناة غير قليلة، وقدمها في صياغة جميلة نستمتع بها ونستفيد مما تختزنه، وتزداد المتعة والفائدة عندما ترتبط تلك التجارب والخبرات برؤى إيمانية تنهل من معين الهدي الإلهي، وما زالت كذلك حتى يومنا هذا.[53]

والنماذج الأدبية التي نراها في هذا الإطار تتميز بمستوى فني عالٍ جدا، بما فيها من قوة البلاغة وقوة التأثير أيضا، لأنها كتبت من خلال أرواح صافية، وعزيمة قوية تجلت بالإيمان الخالص، كذلك من الناحية الفنية سنجد أن هذا النوع من الأدب استفاد من المنجز البلاغي العربي كثيرا وطوّعه ليوافق الخطاب الأدبي، خاصة البعد الرمزي بما فيه من اختزال وتكثيف، مما يتيح فرصة أكبر لاتساع الدلالة، هذا النوع يعبر عن الإنسان وقضاياه المعاصرة، ويرتبط بصيغ جمالية، فالإبداع إبداع وإن تغيرت صورته وأشكاله.

ومن أهمية الصلاة على رسول الله جعل الناس يطلقون على الخطبة التي ليس فيها صلاة خطبة شوهاء أو بتراء، من أجل ذلك أصبح التحميد سنّة فى كل خطبة، حتى الخطبة السياسية، وكانوا يسمّون كل خطبة تخلو منه بتراء، كما كانوا يسمون كل خطبة تخلو من اقتباس آي القرآن الكريم والصلاة على الرسول شوهاء.[54]

والصلوات على رسول الله صلى الله عليه وسلم تحتل مكانة واسعة ولها أهمية كبيرة في الثقافة العربية والأدب الإسلامي، هذه الصلوات تكون مشحونة بمشاعر إيمانية، يفجرها قائلها من أعماقه ليعبر بها عن الحب العميق لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فهي تقال بصدق المشاعر التي صفت من الأغراض الدنيوية، واكتست رداء الصدق؛ حيث كان حب

[53] عبد الباسط بدر، الأدب والقضايا الاجتماعية، مجلة رابطة الأدب الإسلامي العالمية، ع:21، س: 2012.

[54] البيان والتبيين، ج: 2، ص: 6.

رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الدافع إليها، وحيث إن حب النبي صلى الله عليه وسلم هو الدافع إليها، ولا يشوبها غرض دنيوي، فاختلفت بذلك عن غيرها من المدائح التي كانت الأغراض الدنيوية دافعها الأول وكانت تُنظم لفائدة الحكام أو أصحاب الأموال، بل الوازع إلى ذلك التعبد بالذكر فضلا عن حب النبي، كما أنها تتسم بالمحبة والإخلاص الممزوج بالعاطفة، وكما هو معلوم فلا يؤمن المسلم إيمانا كاملا حتى يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواه، فهذا منطلقهم وعليه متكؤهم، كل هذا مع إظهار المحبة والتوقير والمهابة.

خاتمة

وختاما لا ندعي الكمال لهذا البحث، كما لا ندعي الإحاطة بكافة جوانبه وبكامل موضوعاته، بل يبقى فقط إسهاما متواضعا من ضمن الإسهامات التي قبله والتي تليه في المستقبل، ونرجو أن نكون قد حققنا جزءا من الهدف الذي كنا نصبوا إليه؛ وهو المساهمة ببضعة خطوط في رسم معالم الصورة الحقيقية والكاملة لهذا النوع من الأدب.

وقد بين البحث ما يلي:

- بين البحث فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وثمراتها وفوائدها انطلاقا من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة.
- تعتبر الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم نثرا مميزا كُتب بلغة رصينة وأسلوب جميل. كما تتميز صيغ الصلوات على النبي صلى الله عليه وسلم برشاقة ألفاظها وضخامة معانيها وبلاغة تراكيبها وفصاحة أساليبها.
- اهتمت كثير من المؤلفات الأدبية وغيرها بنصوص الصلاة على النبي.
- تحتل صيغ الصلوات على رسول الله صلى الله عليه وسلم مكانة عالية في كل من الأدبين العربي والإسلامي، حيث تتميز اللغة الصوفية بالثراء والغنى في أسلوبها وتركيبها.
- تطورت صيغ الصلوات حسب العصور؛ ففي العصر الأول كان يغلب عليها الاقتصار والاختصار، وكانت خالية من التنميق، أما في العصور المتأخرة فقد كان يغلب عليها الإطناب والإسهاب.